مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد الثامن - علوم القرآن - حزيران 2025م
doi.org/10.52866/esj.2025.08.25.03

آياتُ الحَبْلِ في القرآنِ الكريمِ وتأثيرها في السلوك الاجتماعي - دراسَة تحليلية -

د. قحطان عدنان صبري المشهداني
الجامعة العراقية/ كلية التربية - قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

مستخلص:

تحمل آيات الحبل في القرآن الكريم دلالات رمزية وروحية عميقة، حيث ترمز إلى العهد والوعد بين الله والإنسان، إضافة إلى مفاهيم الأمان والاستقرار. يهدف البحث إلى دراسة هذه الآيات وتحليل تفاسيرها، وفهم الرموز المرتبطة بالحبل، وتأثيرها في العقيدة والسلوك الاجتماعي للمسلمين. اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي الذي يقوم على جمع الآيات المتعلقة بالحبل، وتحليل ألفاظها في اللغة العربية، مع الاستفادة من تفاسير العلماء. وتوصلت إلى أن هذه الآيات تعزز مفهوم الوحدة بين المسلمين، وتدعم الثقة بالله، وتؤكد أهمية التمسك بالدين لتحقيق الاستقرار. كما أظهرت أن الحبل في القرآن يُستخدم في سياقات الهداية كرمز للربط بين الإنسان والحق، وفي العلاقات الاجتماعية مثل الزواج والروابط المجتمعية، مما يبرز أبعاده العقدية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: السلوك الاجتماعي، الحبل، آيات، التفسير التحليلي .

Abstract :

The verses mentioning the "rope" in the Holy Qur'an carry profound symbolic and spiritual meanings. They represent the covenant and promise between God and humankind, in addition to conveying concepts of security and stability. This study aims to examine these verses, analyze their interpretations, understand the symbolic significance of the rope, and explore its impact on Islamic beliefs and social behavior. The research adopts a methodology based on collecting all Qur'anic verses related to the concept of the rope, analyzing the relevant terminology in the Arabic language, and drawing insights from the interpretations of renowned Islamic scholars. The study concludes that these verses reinforce the concept of unity among Muslims, foster trust in God, and emphasize the importance of adhering to Islamic teachings to achieve social stability. Furthermore, the study reveals that the rope in the Qur'an is used of guidance, symbolizing the connection between humans and divine truth. It also appears in social contexts, such as marriage and communal bonds, highlighting its theological and societal dimensions.

Keywords: social behavior, rope, verses, analytical interpretation .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تُعدُّ آيات الحبل في القرآن الكريم من المواضيع التي تحمل دلالات رمزية وروحية عميقة، مما يجعلها محط اهتمام الباحثين في مجال الدراسات القرآنية. يعكس الحبل في السياق القرآني العهد والوعد بين الله والإنسان، ويمثل مفاهيم الأمان والاستقرار التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية. تعتبر هذه الدراسة من الدراسات المهمة التي تسعى إلى استكشاف وفهم هذه الرموز القرآنية وتأثيرها على العقيدة والسلوك الاجتماعي للمسلمين.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة إلى فهم أعمق للرموز والمعاني القرآنية، وكيفية تأثيرها على المجتمع الإسلامي. تعتبر الآيات المتعلقة بالحبل في القرآن الكريم من النصوص التي تعزز مفهوم الوحدة بين المسلمين وتساهم في تقوية المجتمع الإسلامي. إن فهم هذه الآيات بشكل صحيح يمكن أن يساعد في تعزيز العلاقات الاجتماعية والروحية داخل المجتمع، ويعطي المؤمنين شعورًا بالأمان والثقة في علاقتهم بالله.

أهداف البحث ومسوغاته:

يهدف هذا البحث إلى تحليل الآيات القرآنية التي تذكر الحبل، واستنباط معانيها المختلفة، وفهم تأثيرها على الحياة الروحية والاجتماعية للمسلمين. كما يهدف إلى استكشاف التفسيرات المختلفة لهذه الآيات من كتب التفسير المعتمدة، مثل تفسيرات ابن كثير والطبري والقرطبي، وفهم الرموز المرتبطة بالحبل في السياق القرآني.

الدراسات السابقة:

وجدت دراسة واحدة فيما يتعلق بهذا الموضوع، وهي:

الحبال في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، د. عائشة بنت محمد بن مبخوت الحمدان، مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (87) ربيع الثاني 1443هـ - ديسمبر 2021م.

وتختلف الدراستان من حيث المنهج والمقصد، حيث تركز الدراسة الأولى «الحبال في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية» على تتبع لفظ «الحبل» في القرآن الكريم في مواضعه المختلفة، وتحليل معانيه من خلال منهج موضوعي يستند إلى جمع النظائر القرآنية، وتحليل السياقات اللغوية والبلاغية، واستعراض أقوال المفسرين، مع الترجيح بينها وفق المعنى والسياق، وإبراز وجوه الإعجاز والبلاغة في استعمال لفظ الحبل، كالحبل المتين، وحبل الناس، وحبل المسد، وحبل الوريد، وحبال السحرة. أما الدراسة الثانية «آيات الحبل في القرآن الكريم وتأثيرها في السلوك الاجتماعي – دراسة تفسيرية تحليلية»، فإنها تضيف بعدًا جديدًا على ما سبق، حيث تتناول الآيات نفسها ولكن من زاوية رمزية واجتماعية وسلوكية، فتركّز على ما تحمله هذه الآيات من دلالات عقدية وروحية، وتستكشف أثرها في بناء المفاهيم الاجتماعية، وتعزيز قيم الوحدة والاستقرار والثقة بالله في حياة المسلمين، مستفيدة من التفاسير المعتبرة لكنها تتجاوزها إلى تحليل الأثر الواقعي لهذه الرموز في سلوك الأفراد والمجتمع. وبذلك، تمثل الدراسة الثانية استكمالًا وتوسيعًا لمجال البحث، حيث تنتقل من التحليل الداخلي للنصوص القرآنية إلى دراسة أثرها الخارجي

في الواقع، مما يجعلها أكثر التصاقًا بالواقع المعاصر، ويمنحها بعدًا وظيفيًا في ربط القرآن الكريم بالحياة الاجتماعية للمسلمين.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على منهجية شاملة تشمل جمع الآيات القرآنية التي تذكر الحبل فقط، من غير مشتقاته كالحبال وغيرها، وتحليلها لغويًا وتفسيريًا. سيتم استعراض تفاسير علماء المسلمين الكبار، لفهم المعاني المختلفة المرتبطة بهذه الآيات. كما سيتم تحليل الكلمات والمصطلحات المتعلقة بالحبل في اللغة العربية لفهم دلالاتها الروحية. وسيتم أيضًا دراسة تأثير هذه الآيات على العقيدة والسلوك الاجتماعي للمسلمين من خلال مراجعة الأدبيات والبحوث السابقة في هذا المجال.

خطة البحث:

ويتضمن البحث أربعة مطالب، يبدأ بتمهيد يتناول مفهوم الحبل في اللغة والاصطلاح، يليه المطالب التي تستعرض تفسير هذه الآيات، تناول المطلب الأول: الحبل بمعنى التمسك بشرع الله ودينه والجماعة، والمطلب الثاني: الحبل بمعنى عهد الله وعهد المؤمنين بإعطاء الذمة والأمان لليهود، والمطلب الثالث: الحبل بمعنى علم الله تعالى المطلق وقربه من عباده، والمطلب الرابع: الحبل بمعنى جزاء عداوة النبي صلى الله عليه وسلم من امرأة عمه أبي لهب، وختمت البحث بتوصيات ومقترحات لتعزيز الاستقرار في المجتمع الإسلامي.

إن هذه الدراسة تسعى إلى تقديم فهم متكامل وشامل للآيات المتعلقة بالحبل في القرآن الكريم، مما يساهم في تعزيز المعرفة القرآنية والفهم العميق للرموز الدينية وتأثيرها على حياة المسلمين.

تمهيد في بيان حد الحبل:

الحبل في اللغة يأتي لمعان عدة، منها:

الحَبْل: الرِّباط، بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَالْجَمْعُ أَحْبُل وأَحبال وحِبَال وحُبُول... والحبْل: الرَّسَن، وحَبَلَ الشيءَ حَبْلًا: شَدَّه بالحَبْل.[1]

والحَبْل: التواصل، والحَبْل: الرَّمل الطويل الضَّخْم. والحَبْل: مَوضِع بالبصرة على شاطىء النَّهْر.[2]

والحَبْل: العَهْد والذِّمَّة والأَمان وَهُوَ مِثْلُ الجِوار.[3]

والْحَبْلُ الطَّرِيقُ، وهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَبْلَ الْعَهْدَ، وَالْوُصَلُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَلَكَ طَرِيقًا أَخَذَ بِذِمَّةِ سَيِّدٍ، حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَى حَيٍّ آخَرَ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ لِنِيَّتِهِ بِتِلْكَ الْحِبَالِ، أَيْ: بِتِلْكَ الْعُهُودِ، فَسُمِّيَتِ الطَّرِيقُ بِذَلِكَ حَبْلًا.[4]

والحَبْل الوِصال.[5]

وَالْحَبل الْمَوَدَّة وَالْحَبل الثّقل وَالْحَبل رمل مستطيل وَالْحَبل وَاحِد الحبال حَبل العاتق.[6]

الحبل اصطلاحاً: لا يختلف المعنى الاصطلاحي على المعنى اللغوي من حيث المفهوم، فالحبل هو «رباط ووصلة بين شيئين أو عدة أشياء، سواء كان وصلاً حسيا أو مجازيا»[7].

---

(1) لسان العرب: 11/ 134 مادة (ح ب ل).
(2) العين: 3/ 236 مادة (ح ب ل).
(3) لسان العرب: 11/ 135 مادة (ح ب ل).
(4) الدلائل في غريب الحديث: 2/ 810.
(5) لسان العرب: 11/ 135 مادة (ح ب ل).
(6) العشرات في غريب اللغة: 123.
(7) الحبال في ضوء القران الكريم -دراسة موضوعية-: ص 199.

المطلب الأول: الحبل بمعنى التمسك بشرع الله ودينه والجماعة

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

تحث هذه الآية الكريمة المؤمنين على التمسك بدين الله والاجتماع والتكاتف وعدم الفرقة والشقاق. وتذكرهم بنعمة الله عليهم في توحيدهم وجعلهم إخوة بعد أن كانوا أعداء، وتدعوهم إلى الشكر على هذه النعمة.

قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله.(1)

روي عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «حبل اللهَّ: الجماعة، وإنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها»، أمر بالكون مع الجماعة، ونهي عن التفرق؛ لأن أهل الإسلام هم الجماعة؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، وصف أهل دين الإسلام بالجماعة، وأهل أديان غيرها بالتفرق.(2)

قال أبو عبيد: «والاعتصام بِحَبل الله هُوَ ترك الفُرقة وَاتِّبَاع الْقُرْآن وأصل الْحَبل فِي كَلَام الْعَرَب ينْصَرف على وُجُوه فَمِنْهَا الْعَهْد وَهُوَ الْأمان وَذَلِكَ أَن الْعَرَب كَانَ يُخيف بَعْضهَا بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّة فَكَانَ الرجل إِذا أَرَادَ سفرا أَخذ عهدا من سيد الْقَبِيلَة فَيَأْمَن بِهِ مَا دَامَ فِي تِلْكَ الْقَبِيلَة حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الْأُخْرَى وَيفْعل مثل ذَلِك أَيْضا» .(3)

ويقال: تمسكوا بسبيل السنة والهدى، وَلا تَفَرَّقُوا. يقول: ولا تختلفوا في الدين، كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء ويقال وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعاً يعني: اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة. ويقال: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعاً، يعني ما اشتبه عليكم، فردوه إلى كتاب الله كَقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59] وقال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنه أن يخرج منها والنجاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وثيق، وهو كتاب الله تعالى.(4)

أصل الحبل: السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة؛ ولذلك سمي الأمان حبلا؛ لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف.(5)

والاعتصام بحبله -سبحانه- التمسك بآثار الواسطة -العزيز صلوات الله عليه- وذلك بالتحقق والتعلّق بالكتاب والسّنّة. ويصح أن يقال: الخواص يقال لهم «اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» ، وخاص الخاص قيل لهم «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» ، ولمن رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياله، أو فكرته واستدلاله، أو معارفه وأشكاله، والتجأ إلى

(1) جامع البيان: 7/ 70.
(2) تأويلات أهل السنة: 2/ 445.
(3) غريب الحديث لأبي عبيد: 4/ 102.
(4) بحر العلوم: 1/ 235.
(5) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 9/ 80.

ظل تدبيره، واستضاء بنور عقله وتفكيره فمرفوع عنه ظل العناية، وموكول إلى سوء حاله. وقوله: «وَلا تَفَرَّقُوا» : التفرقة أشد العقوبات وهي قرينة الشرك. وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ وكانوا أعداء حين كانوا قائمين بحظوظهم، معرّجين على ضيق البشرية، متزاحمين بمقتضى شحّ النفوس.(1)

الدروس المستفادة من الآية:

- تؤكد الآية على أهمية الوحدة والتماسك بين المسلمين، وأن التفرقة والاختلاف يؤديان إلى الضعف والهلاك.
- تدعو الآية إلى الشكر الدائم على نعم الله الكثيرة، وخاصة نعمة الإسلام.
- تذكر الآية المؤمنين بنعمة الإسلام التي جمعت قلوبهم وخرجتهم من الظلمات إلى النور.
- حبل الله هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لذا فإن التمسك بهما هو السبيل إلى النجاة والرشاد.(2)

العبرة والعظة:

هذه الآية الكريمة تحمل في طياتها العديد من العبر والعظات للمسلمين، فهي تدعونا إلى التمسك بديننا والاجتماع والتكاتف، وتذكرنا بنعم الله الكثيرة التي أنعم بها علينا، وتحذرنا من التفرقة والاختلاف.

إن هذه الآية الكريمة هي دعوة صادقة للمسلمين جميعًا إلى الوحدة والتماسك، وهي تذكير لهم بأن الإسلام هو دين التوحيد والأخوة، وأن المسلمين هم إخوة في الدين.

المطلب الثاني: الحبل بمعنى عهد الله وعهد المؤمنين بإعطاء الذمة والأمان لليهود

قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112].

تتحدث هذه الآية الكريمة عن اليهود الذين كفروا بالله وقتلوا الأنبياء، فوضع الله عليهم الذلة والمهانة أينما كانوا، إلا إذا استظلوا بعهد من الله أو بعهد من الناس. وهي آية تحذيرية لكل من يتبع طريق الكفر والمعصية، وتبين عاقبة ذلك، وهي جزء من سورة آل عمران، وهي سورة تتحدث عن العديد من المواضيع المهمة، مثل الإيمان والكفر، والجهاد، والصبر، والتوبة.

قال الطبري في تفسير الحبل في الآية الكريمة: هو عهدٌ مِن الله وعهدٌ مِن الناسِ، كما يَقُولُ الرجلُ: ذمةُ الله وَذمةُ رسولِه ﷺ. فهو الميثاقُ.(3)

وقوله تعالَى: أَيْنَ ما ثُقِفُوا معناه: أُدركوا وَوُجِدوا، وذلك أنهم أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية. قال الحسن: أدركتهم هذه الأمة، وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية. وأما الحبل، فقال ابن عباس وغيره: الحبل: العهد، ومعنى الكلام: إلا بعهدٍ يأخذونه من المؤمنين بإذن الله.(4)

وقال الرازي في تفسيره: بحبل: أي بعهد، وإنما سمي العهد حبلا لأنه يزيل عنه الخوف من

(1) لطائف الإشارات: 1/ 267.

(2) ينظر: فضائل القرآن وتلاوته للرازي: ص46، و التفسير المنير للزحيلي: 4/ 29.

(3) جامع البيان: 5/ 683 .

(4) زاد المسير في علم التفسير: 1/ 315.

الذهاب إلى أي موضع شاء، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف، وقيل: إنه القرآن.[1]

وقال البيضاوي: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ هدر النفس والمال والأهل، أو ذل التمسك بالباطل والجزية. أَيْنَ ما ثُقِفُوا وجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهَّ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ استثناء من أعم عام الأحوالَ أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين، أو ملتبسين بذمة الله أو كتابة الذي آتاهم وذمة المسلمين، أو بدين الإسلام واتباع سبيل المؤمنين».[2]

وقال الخازن: «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهَّ يعني إلا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عزلهم إلا هذه الواحدة وهي التجائوهم إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية. وإنما سمي العهد حبلا لأنه سبب يوصل إلي الأمن وزال الخوف».[3]

الدروس المستفادة من الآية:

- تبين الآية أن الكفر والمعصية يؤديان إلى الذلة والمهانة والفقر في الدنيا، والعذاب في الآخرة.
- تؤكد الآية على أهمية العهد والميثاق، وأن من يخالف العهد يعرض نفسه للعقوبة.
- توضح الآية أن الله يحمي المؤمنين ويذل الكافرين.
- تحذر الآية المؤمنين من الوقوع في المعاصي والذنوب، وتدعوهم إلى التمسك بدينهم والعمل الصالح، وتنهاهم عن ذل التمسك بالباطل[4].

العبرة والعظة:

هذه الآية الكريمة هي عبرة لكل من يتطاول على الله ورسله، وهي تحذير من عاقبة الكفر والمعصية. كما أنها تبعث الأمل في نفوس المؤمنين، وتؤكد لهم أن الله معهم وأنهم سينصرون.

المطلب الثالث: الحبل بمعنى علم الله تعالى المطلق وقربه من عباده

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:16].

تؤكد الآية الكريمة السادسة عشر من سورة ق على علم الله الدقيق بكل ما يجول في نفس الإنسان من أفكار ووساوس، وتبين قرب الله تعالى من عباده، حتى أنه أقرب إليهم من حبل الوريد الذي يجري فيه الدم.

قال الطبري في تفسير الآية الكريمة: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق ; والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، وهما عصب العنق، ومفرده علباء، والحبل: هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه.[5]

وقوله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ لا يفهم من قرب الرب – تعالى – إلى العبيد ما يفهم من قرب العبد إلى اللهَّ – تعالى – وإنما يكون قرب العبد إلى اللهَّ – تعالى – بالطاعة له، والقيام بأمره، والانقياد والخضوع له؛ هذا هو المفهوم من قرب العبد إلى اللهَّ – تعالى – لا قرب شيء من شيء آخر؛ فعلى ذلك يفهم من قرب اللهَّ – تعالى

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، 8/ 311.
(2) أنوار التنزيل: 2/ 33.
(3) لباب التأويل: 1/ 286.
(4) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 2/ 33، التفسير المنير للزحيلي: 4/ 44.
(5) جامع البيان: 22/ 341.

– إلى العبد الإجابة له، والنصرة، والمعونة، والتوفيق على الطاعات، وعلى ذلك ما يقال: فلان قريب إلى فلان، لا يعنون قرب نفسه من نفسه والمكان، ولكن يعنون نصره له، ومعونته إياه، وإجابته.[1]

وحبل الوريد عرق يخالط القلب. ويقال: هو العرق الذي داخل العنق الذي هو عرق الروح، فأعلمه الله تعالى أنه أقرب إليه من ذلك العرق. ويقال: الوريدان عرقان بين الحلقوم، والعلباوين. والحبل هو الوريد. وأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسميه.[2]

وفي حبل الوريد ثلاثة أوجه: أحدها: أنه حبل معلق به القلب ، قاله الحسن. والأصم وهو الوتين. الثاني: أنه عرق في الحلق ، قاله أبو عبيدة. الثالث: ما قاله ابن عباس ، عرق العنق ويسمى حبل العاتق ، وهما وريدان عن يمين وشمال ، وسمي وريداً ، لأنه العرق الذي ينصب إليه ما يرد من الرأس. وفي قوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} تأويلان: أحدهما: ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه، الثاني: ونحن أملك به من حبل وريده ، مع استيلائه عليه. ويحتمل ثالثاً: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده ، الذي هو من نفسه ، لأنه عرق يخالط القلب ، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب.[3]

وفي التفسير الإشاري يقول القشيري: نعلم ما توسوس به نفسه من شهوات تطلب استنفاذها، مثل التصنّع مع الخلق، وسوء الخلق، والحقد.. وغير ذلك من آفات النّفس التي تشوّش على القلب والوقت. «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فحبل الوريد أقرب أجزاء نفسه إلى نفسه، والمراد من ذلك العلم والقدرة، وأنه يسمع قولهم، ولا يشكل عليه شيء من أمرهم. وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم، وروح وسكون وأنس قلب لقوم.[4]

الدروس المستفادة من الآية:

- تؤكد الآية على علم الله تعالى المطلق بكل شيء، حتى بخواطر الإنسان وأسرار نفسه.
- تبين الآية أن الله تعالى قريب من عباده، وأنهم ليسوا وحيدين أبداً.
- تدعو الآية إلى التوكل على الله تعالى واللجوء إليه في كل أمر، فهو القادر على كل شيء.
- تحذر الآية من وساوس الشيطان، وتدعو إلى الاستعاذة بالله منها.[5]

العبرة والعظة:

هذه الآية الكريمة هي مصدر طمأنينة وراحة للقلب المؤمن، فهي تؤكد له أن الله تعالى معه في كل حال، وأن عليه أن يتوكل عليه ويثق في علمه وحكمته. وإن هذه الآية الكريمة هي تذكير لنا بعظمة الله تعالى وقدرته، وهي دعوة لنا إلى التقرب إليه والعمل بما يرضيه.

المطلب الرابع: الحبل بمعنى جزاء عداوة النبي ﷺ من امرأة عمه أبي لهب

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 5-1]

نزلت هذه السورة في أبي لهب بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته أم جميل،

(1) تأويلات أهل السنة: 9/ 351.
(2) بحر العلوم: 3/ 335.
(3) النكت والعيون: 5/ 347.
(4) لطائف الإشارات: 3/ 450.
(5) التفسير المنير للزحيلي: 26/ 297.

وذلك لكفره بمحمد ﷺ وعاداته الشديدة له. وتعتبر سورة المسد من أقسى السور في القرآن الكريم، وهي تحمل لعنة الله على أبي لهب وزوجته بسبب كفرهما ومعاداتهما للنبي ﷺ. السورة تبين عاقبة الكفر والمعاداة لله ورسوله، وأن المال والجاه لا ينفعان صاحبهما يوم القيامة. قال الزجاج: الجَيِّد العنق. وقيل في التفسير: (حبل مِنْ مَسَدٍ). سلسلة طولها سَبْعُونَ ذراعاً. يعنى أنها تسلك في السلسلة سبعون ذراعاً. والمسد في لغة العرب الحبل إذا كان من ليفِ المُقْلِ، وقد يقال لما كان من أدبار الإبل من الحبال مَسَدٌ.[1]

وقوله تعالى: «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ يعني: خسر أبو لهب وذلك أن النبيّ ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] صعد على الصفا ونادى فاجتمعوا فقال النبيّ ﷺ: «أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الأَقْرَبِينَ وَأَدْعُوهُمْ إِلَى شهادة أن لا إله إلَّا الله، فَقُولُوا أَشْهَدْ لَكُمْ بِهَا عِنْدَ رَبِّي» فأنكروا ذلك فقال أبو لهب: تبا لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا، وروي في خبر آخر أنه اتخذ طعاماً ودعاهم ثم قال: «أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا وَأَطِيعُوا تَهْتَدُوا» فقال أبو لهب: تبا لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا فنزلت تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ يعني: خسرت يدا أبي لهب عن التوحيد وَتَبَّ يعني: وقد خسر ويقال: إنما ذكر اليد وأراد به هو وقال مقاتل: تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وتب يعني: خسر نفسه وكان أبو لهب عن النبيّ ﷺ واسمه (عبد العزى) ولهذا ذكره بالكنية ولم يذكر اسمه لأن اسمه كان منسوباً إلى صنم وقال بعضهم: كنيته كان اسمه»[2].

قال ابن كثير: «وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها (أروى) بنت حرب بن أمية. وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، أي في عنقها حبل من الليف. أي أنها في تكليف نفسها المشقة الفادحة، للإفساد بين الناس وتأريث نيران العداوة بينهم، بمنزلة حامل الحطب الذي في عنقه حبل خشن» ، يشدّ به ما حمله إلى عنقه، حتى يستقل به. وهذه أشنع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب، وفي عنقها حبل من الليف، تشد به الحطب إلى كاهلها، حتى تكاد تختنق به. وقال أيضا: قد أنزل الله في أبي لهب وفي زوجته هذه السورة، ليكون مثلا يعتبر به من يعادي ما أنزل الله على نبيه، مطاوعة لهواه وإيثارا لما ألفه من العقائد والعوائد والأعمال، واغترارا بما عنده من الأموال، وبما له من الصولة أو من المنزلة في قلوب الرجال، وأنه لا تغني عنه أمواله ولا أعماله شيئا. وسيصلى ما يصلى.[3]

الدروس المستفادة:

- عاقبة الكفر والمعاصي: تبين السورة أن الكفر والمعاصي تؤدي إلى الهلاك والعذاب في الآخرة.
- بطلان الدنيا وزينتها: تؤكد السورة أن المال والجاه لا ينفعان صاحبهما يوم القيامة، وأن الحسنات والأعمال الصالحة هي التي تنفع.
- عذاب الله شديد: توضح السورة أن عذاب الله شديد لمن كفر به وعاداه.
- تحذير للمؤمنين: تحذر السورة المؤمنين من الوقوع في الكفر والمعاصي، وتدعوهم إلى التمسك بالإيمان والعمل الصالح.[4]

وخلاصة القول: إن سورة المسد هي عبرة لكل من يعادي الله ورسوله، وهي تذكير لنا بأن الله لا

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 5/ 376.
(2) بحر العلوم: 3/ 632.
(3) محاسن التأويل: 9/ 565.
(4) التفسير المنير للزحيلي: 30/ 459.

يغفر الشرك به، وأن العاقبة للمجرمين.

الخاتمة

تُعَدُّ دراسة آيات الحبل في القرآن الكريم من الدراسات المهمة التي تفتح آفاقاً جديدة لفهم النصوص القرآنية ورموزها. لقد أظهرت هذه الدراسة أن الحبل في القرآن يحمل معانٍ عميقة ومتعددة تتعلق بالاتصال بالله، والوحدة، والهداية، والضلال، والعلاقات الاجتماعية. نأمل أن تكون هذه الدراسة قد أضافت إسهاماً مهماً في مجال الدراسات القرآنية، وأن تلهم المزيد من الباحثين لاستكشاف مواضيع مشابهة وتقديم رؤى جديدة تسهم في تعزيز الفهم العميق لكتاب الله الكريم.

ويمكن إجمال أهم نتائج البحث بما يلي:

1. أظهرت الدراسة أن آيات الحبل في القرآن الكريم تستخدم لفظ «الحبل» بمعانٍ متعددة ومتشعبة. يمكن أن يشير الحبل إلى الرباط المادي أو المعنوي الذي يربط الإنسان بربه، كما يظهر في آية الحبل المتين.

2. يُستخدم الحبل في القرآن كرمز للاتصال الوثيق بالله، حيث يُشجع المسلمون على الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، مما يعكس أهمية الوحدة والتضامن بين المؤمنين.

3. يتناول القرآن موضوع الحبل في سياق الهداية، حيث يُظهر الحبل كطريق يربط الإنسان بالهدى والحق، مقابل طرق الضلال التي تقود إلى التيه والانحراف.

4. يظهر الحبل أيضًا في سياق العلاقات الاجتماعية والشرعية، مثل الحبل الزوجي الذي يربط بين الزوجين، والحبل الاجتماعي الذي يربط أفراد المجتمع بمسؤولياتهم وواجباتهم تجاه بعضهم البعض.

وأما التوصيات فيمكن إجمالها بما يلي:

1- زيادة الوعي لدى المسلمين بمعاني الحبل في القرآن الكريم من خلال الدروس والخطب والبرامج التعليمية، لتوضيح رمزية الحبل وأهميته في العقيدة الإسلامية.

2- إدراج موضوع الحبل في المناهج الدراسية الإسلامية لشرح تنوع استخداماته ومعانيه المختلفة، مما يسهم في فهم أعمق للقرآن الكريم وتعاليمه.

3- تشجيع الباحثين على مواصلة الدراسات والبحوث حول المفاهيم القرآنية المتنوعة ورموزها، وذلك لتعزيز الفهم والتدبر في آيات الله ومعانيها العميقة.

4- استخدام وسائل الإعلام المختلفة لنشر الوعي والتثقيف حول معاني القرآن الكريم، من خلال البرامج التلفزيونية والإذاعية والمقالات والمنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 ، 1418 هـ.
2. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
3. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت،

لبنان، ط1 ، 1426 هـ - 2005م.
4. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ.
5. التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، ط1 ، دار الفكر، دمشق، 1991م.
6. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م .
7. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420 هـ - 2000م.
8. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر - بيروت، د. ت.
9. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1 ، 1422 هـ.
10. العشرات في غريب اللغة: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (ت 345هـ) المحقق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية - عمان.
11. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
12. غريب الحديث: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ) المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، 1384 هـ - 1964م.
13. فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرىء (ت 454هـ)، تحقيق وتخريج: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م.
14. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1 ، 1422، هـ - 2002م.
15. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 ، 1415 هـ .
16. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر - بيروت، ط3 ، 1414 هـ .
17. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب

- مصر، ط3.
18. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، ط1 ، 1418 هـ.
19. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1 ، 1408 هـ - 1988م.
20. مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى.
21. المؤلف: قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (ت 302هـ) تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م.
22. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.